هذا الطيب ، فإنه يذهب همَّك ، فلما خرج الرجل من عند المنصور ، قال المنصور لأربعة من ثقاته : ليقعد على كل باب من أبواب المدينة واحد منكم ، فمن مرَّ بكم فشممتم منه رائحة هذا الطيب ـ وأشمَّهم منه ـ فليأتني به ، وخرج الرجل بالطيب فدفعه إلى امرأته وقال لها : وهبه لي أمير المؤمنين ، فلما شمَّته بعثت إلى رجلٍ تحبُّه ، وقد كانت دفعت المال إليه ، فقالت له : تطيَّب من هذا الطيب ، فإن أمير المؤمنين وهبه لزوجي ، فتطيَّب منه الرجل ومرَّ مجتازاً ببعض الأبواب ، فأخذوه إلى المنصور .

فقال له المنصور : من أين استفدت هذا الطيب ، فإن رائحته غريبة معجبة ؟ قال : اشتريته ، قال : ممن ؟ وخاف الرجل وتلجلج ، فاستدعى المنصور صاحب شرطته ، فقال له : خذ هذا الرجل إليك فإن أعاد المال فخلِّه يذهب حيث شاء ، وإلا فاضربه ألف سوط من غير مؤامرة ، فلما خرج من عنده دعا صاحب شرطته فقال : هوِّل عليه وجرِّده ولا تقدمنَّ بضربه حتى تؤامرني ، فخرج صاحب شرطته ، فلما جرَّده وسجنه أذعن بردِّ الدنانير وأحضرها بهيئتها ، فأعلم المنصور بذلك ، فدعا صاحب الدنانير ، فقال له : رأيتك إن رددت عليك الدنانير بهيئتها أتحكمني في امرأتك ؟

قال : هذه دنانيرك ، وقد طلقت المرأة عليك وخبره خبرها .

* * *

العفو والرعيل الأول :

● عن هشام بن محمد قال : أُتِي النعمان بن المنذر برجلين قد أذنب أحدهما ذنباً عظيماً ، فعفا عنه ، والآخر أذنب ذنباً خفيفاً فعاقبه ، وقال :

تعفـــو الملـــوك عـــن العظيـــم مـــن الـــذنـــوب بفضلهـــا

ولقـــد تعـــاقـــب فـــي اليسـ ـــــر وليـــس ذاك لجهلهـــا
إلا ليعـــــرف حلمهـــــا ويخـــاف شـــدة دخلهـــا

● وجلس عبد الله بن مسعود رضي الله عنه في السوق يبتاع طعاماً ، فابتاع ، ثم طلب الدراهم وكانت في عمامته ، فوجدها قد خلت ، فقال : لقد جلست وإنها لمعي ، فجعل الناس يدعون على من أخذها ويقولون : اللهم اقطع يد السارق الذي أخذها ، اللهم افعل به كذا . . .

فقال عبد الله : اللهم إن كان حمله على أخذها حاجة فبارك فيها ، وإن كان حمله جرأة على الذنب فاجعله آخر ذنوبه ! !

● وروي أن راهباً دخل على هشام بن عبد الملك ، فقال للراهب : أرأيت ذا القرنين ، أكان نبياً ؟ فقال : لا ، ولكنه إنما أُعطي ما أُعطي بأربع خصال كُنَّ فيه : كان إذا قدر عفا ، وإذا وعد وفى ، وإذا حدَّث صدق ، ولا يجمع شغل اليوم لغد .

● وقال مالك بن دينار : أتينا منزل الحكم بن أيوب ليلاً ، وهو على البصرة أمير ، وجاء الحسن وهو خائف ، فدخلنا معه عليه ، فما كنا مع الحسن إلا بمنزلة الفراريج ، فذكر الحسن قصة يوسف عليه السلام وما صنع به إخوته من بيعهم إياه ، وطرحهم له في الجبِّ ، فقال : باعوا أخاهم ، وأحزنوا أباهم ، ثم ذكر ما لقي من كيد النساء ومن الحبس ، ثم قال : أيها الأمير ، ماذا صنع الله به لقد رفع ذكره ، وأعلى كلمته ، وجعله على خزائن الأرض ، فماذا صنع حين أكمل له أمره ؟ وجمع له أهله ؟

قـال : ﴿ قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ يَغْفِرُ ٱللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴾ [يوسف : ٩٢] .

فقال الحكم : وأنا أقول : لا تثريب عليكم اليوم ، ولو لم أجد إلا ثوبي هذا لواريتكم تحته .